

النزاع في سوريا

قراءة في مواقف ومصالح الأطراف الفاعلة ودورها في توجيه مسارات النزاع

The conflict in Syria a reading of the attitudes and interests of the actors and their role in guiding the paths of conflict

العابد نائلة¹

طالبة دكتوراه جامعة محمد الصديق بن يحيى جيجل

مخبر القانون البنكي والمالي

Labed.naila.25@gmail.com

د. كريبش نبيل

جامعة محمد الصديق بن يحيى جيجل

dr_kribeche@yahoo.fr

تاريخ الوصول: 2020/06/08 القبول: 2021/02/15 النشر علي الخط: 2021/06/15

Received: 08/06/2020 Accepted : 15/02/2021 Published online : 15/06/2021

ملخص:

إن المشهد السوري الذي برز على الساحة الدولية منذ آذار 2011 قد جاء على إثر اندلاع موجة الاحتجاجات الجماهيرية في البلدان العربية التي سميت بثورات الربيع العربي ، سايس بيكو جديد ، إلى جانب فشل السياسات العامة للبلاد والتي تمخض عنها اختلال تنموي شامل، ونظرا لكون سوريا تعد مدخلا ما بين أوروبا و آسيا في مواجهة اسرائيل ضمن منطقة مضطربة شديدة الاستقطاب وبيئة للتحالفات الاستراتيجية أصبحت لعبة التوازنات وحسابات المصالح المتنافرة للفواعل الإقليمية والقوى الدولية الكبرى هي المسرح السائد للصراع العسكري والسياسي بالوكالة الذي يعبر عن الأجواء في سوريا والموجه له ، في إطار حالة تجاذب حاد بين النظام السوري و فرق المعارضة ، ما سمح بإطالة عمر الأزمة وتحويلها إلى نزاع، وأصبحت امكانية التوصل إلى حل بشنها أمرا بعيد المنال .

الكلمات المفتاحية : الأزمة ، النزاع السوري ، توازن القوى ، التحالفات ، الاستقطاب.

Summary:

The Syrian scene that has emerged on the international arena since March 2011 came in the wake of the wave of mass protests in the Arab countries that were called the Arab Spring revolutions, the new Sais Pico, in addition to the failure of the general policies of the country which resulted in a developmental imbalance. Is a gateway between Europe and Asia in the face of Israel within a turbulent and highly polarized region and an environment for strategic alliances has become a game of balances and calculations of interests contrary to regional actions and major international powers is the scene of the military conflict and political proxy, which expresses the Atmosphere in Syria and directed him in the context of a severe case of attraction between the Syrian regime and opposition teams are allowed to prolong the age of the crisis and its transformation into a conflict.

Keywords: The crisis, the Syrian conflict, power balance, alliances, polarization

1. مقدمة

شهدت المنطقة العربية موجات متتالية للحراك الشعبي في كل من تونس ومصر وليبيا وأيضاً اليمن، حملت شعارات ومطالب لتحقيق العدالة والمناداة بالإصلاحات السياسية لينتهي الأمر بإسقاط الأنظمة فيها، ضمن هذا السياق تظاهر السوريون في دمشق وتفجرت الاحتجاجات الشعبية في مدينة درعا الجنوبية مطالبين بإعادة توزيع السلطة والثروة والتحول من نظام استبدادي تسلطي إلى دولة ديمقراطية تتحقق فيها العدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية، إلا أن النظام من أجل مواجهتها فضل الخيار الأمني واستخدام القمع والقوة .

تشابكت العوامل الداخلية والخارجية في الوضع السوري، حيث ساهمت في تأزم الأوضاع واتخذت الأزمة مساراً أكثر تعقيداً صعب الانفراج وإيجاد توافق لتسويته، سرعان ما تطورت الأحداث لتتحول إلى صراع عسكري مسلح بين المعارضة والنظام السوري. ونظراً للأهمية الجيوبوليتيكية لسوريا فإن الأزمة فيها والتي بدأت داخلية تحولت إلى أزمة إقليمية ودولية تتشابك وتتجاذب فيها مصالح الأطراف وتغلب عليها الحسابات الجيوسياسية من أجل السيطرة على الموارد والجغرافيا وتحقيق الهيمنة الإيديولوجية لإعادة رسم خريطة التوازنات بين معسكرين أحدهما حليف للنظام والآخر خصم له، تصطف ضمن كل منهما فواعل محلية وإقليمية ودولية، الأول هو معسكر التغيير ويضم المنتفضين ضد النظام بدعم من تركيا ودول الخليج وأيضاً الجناح الغربي أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، أما الثاني فيشمل النظام السوري تدعمه إيران وحلفاؤها في كل من العراق ولبنان على رأسه روسيا وخلفها الصين ومجموعة البريكس . لقد شكلت الأزمة في سوريا تهديداً أمنياً للمنطقة ككل مما جعلها تهدد الاستقرار العالمي في ظل تنامي وانتشار الارهاب والهجرة غير الشرعية وصراع القوى الكبرى على المنطقة العربية التي كانت ومازالت تمثل هدفاً حيوياً لم ينته الصراع حوله بأفول الحرب العالمية الثانية .

من خلال هذه الأوراق البحثية سنحاول الإجابة على الإشكال التالي: كيف أثرت مواقف وأهداف الأطراف الفاعلة في النزاع السوري على مسار النزاع وحله؟ و للإجابة على الإشكال المطروح وضعنا الفرضية التالية: تعدد الأطراف الداخلية في النزاع إلى جانب الأطراف الإقليمية والدولية أثر على مسار الأزمة وأدى إلى نحو متزايد من التعقيد بسبب تصادم المصالح وتشكيل التحالفات، لذلك فالحيارات المطروحة لم تكن قادرة على حسم الأزمة.

2. مضامين النزاع في سوريا

1.2 . جغرافية سوريا والعامل الجيوستراتيجي

تقع سوريا بين دائرتي عرض 31.8، 37.2 شمالاً وبين خطي طول 35.8، 42.1 شرقاً (تمتد نحو خمس درجات عرض من الجنوب إلى الشمال في نصف الكرة الشمالي، ونحو سبعة خطوط طول شرقي غرينتش)¹، هذا الموقع الفلكي في منتصف الخريطة العالمية في العروض المعتدلة الدافئة وسطاً بين خط الاستواء والدائرة القطبية جعلها تتمتع بجملة من مزايا ومناخ معتدل مناسب للزراعة، تجمع بين حضارات الشمال والجنوب وأيضاً الشرق والغرب². تربع سوريا على مساحة 185.180 ألف كم مربع في قلب بلاد الشام، غرب القارة الآسيوية شرقي البحر الأبيض المتوسط بمياه إقليمية تبلغ 2316 كلم مربع تحدها لبنان غرباً، و من الجنوب فلسطين والأردن ومن الشرق العراق ومن الشمال تركيا . (أنظر الجدول 1)

¹ عبد الرؤوف رهبان، الأهمية الاقتصادية للتجارة الخارجية السورية والعوامل المؤثرة فيها، مجلة جامعة دمشق، المجلد 29، العدد 4، 2013، ص 517.

² إبراهيم أحمد سعيد، الجيوبوليتيك السوري وقوة الجغرافية السياسية السورية، (دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، 2016)، ص 28.

الجدول 1: طول الحدود السورية مع دول الجوار

الدولة/الشاطئ	طول الحدود بالكلم	النسبة المئوية من الحدود
تركيا	845	35
العراق	596	24.7
الأردن	356	14.7
فلسطين	74	3
لبنان	3559	14.8
البحر المتوسط	183	7.6
المجموع	2413	100

المصدر: المكتب المركزي للإحصاء، المجموعة الإحصائية السورية 2004، ص 39

الموقع المتوسط لسوريا يمثل همزة وصل بين المناطق الجغرافية التي تحدها كونها مناطق اقتصادية بامتياز، بالرغم من أنها تعتبر من الدول الصغيرة على الصعيد العالمي بقيمة تلك المساحة إلا أن هذه الأخيرة بما تحتويه من مقومات طبيعية وتنوع حيوي وموارد سطحية وباطنية كالفسفات و الأملاح والمياه الجوفية يجعلها تربة خصبة للاستثمارات الاقتصادية واقامة المشاريع الانتاجية وتطوير الموانئ والخدمات السياحية في ظل وفرة المقومات التاريخية أيضا.

و يأتي الموقع الحضاري لسوريا على قدر آخر من الأهمية ، حيث تعتبر سوريا معبر للعديد من الحضارات، انتشرت فيها الديانات السماوية وعرفت بروز البدايات الأولى للثقافة و الكتابة والتجارة ، المطلاع على تاريخ الحضارة العربية والاسلامية في الوطن العربي يمكنه أن يعي جيدا أن القوة الخارجية لطالما سعت إلى تفتيت المنطقة بتحويل سوريا إلى دول طائفية من أجل تحويلها إلى مناخ مناسب ليهودية الدولة العربية الإسرائيلية . ويمكن تحديد موقع سوريا الاستراتيجي من خلال نظريات الجيوبولتيك :

وفقا لنظرية قلب العالم لماكندر* الهارتلاند تقع سوريا في وسط المنطقة المحورية 'الهلل الداخلي' وتعد منتصف الجسر الرابط بين القلب الكبير 'الشمالي' في وسط آسيا وشرق أوروبا و بين القلب الصغير 'الجنوبي' في وسط إفريقيا ، وبالتالي فسوريا هي المنطقة الوسطى العالمية التي تتحكم بالطرق التي تربط بين القارات.

حسب نظرية سبيكمان ♦ فسوريا تمثل المنطقة الوسطى في الريملاند منطقة التصادم بين القوى البرية وهي منطقة قلب الأرض عند ماكندر وبين القوة البحرية التي تمثل الهلال الخارجي عند ماكندر. ومن يسيطر عليها يهيمن على العالم مما يعطي سوريا أهمية كبيرة في الجيوستراتيجيا العالمية أين يظهر أثرها خاصة على كل من تركيا والعراق و إيران التي تمثل وحدة جغرافية¹.

*ماكندر هو عالم جيولتيك من انكلترا نشر نظريته المعروفة (قلب العالم) في عام 1904 وطورها عام 1919. كان يرى بأن الأراضي التي تقع في اوربا الشرقية تمثل قلب العالم . اوراسيا وإفريقيا تشكل "جزيرة العالم". والقوة التي يمكن التحكم في "قلب العالم" سوف تصبح ما نسميه الآن الدولة العظمى . للمزيد راجع : حميد حمد السعدون ، نظرية ماكندر قراء جديدة في ظل الهيمنة الأمريكية ، مجلة دراسات دولية ، العدد 28 ، بغداد ، 2005 ، ص ص 89،90.

وفي نظرية القوة الجوية * لسفرسكي فإن سوريا تقع ضمن منطقة المصير وهي أهم المناطق من الناحية الاستراتيجية التي تعني السيطرة عليها السيطرة على الأجزاء الأخرى من العالم.

مما زاد من حساسية الموقع الجغرافي لسوريا هو وفرة الاحتياطات الكبيرة من الغاز الطبيعي ي سواحل البحر الأبيض المتوسط (الذي يمثل امتدادا لشبكة واسعة وكثيفة في جزئه الجنوبي والشرقي من خطوط نقل أنابيب النفط الخام و الغاز الطبيعي القادمة من الوطن العربي في قسمه الآسيوي وشمال إفريقيا نحو السوق الأوروبية) المواجهة للساحل السوري الذي تظهر أهميته في ربط المحيط الأطلسي (وفقا لنظرية القوة البحرية لألفريد ماهان) ويمتاز بقرنه من موانئ التصدير عبر البحر المتوسط كون سوريا على طريق التجارة العالمية هي بمثابة بوابة بحرية للدول الأوروبية إلى آسيا ومنطقة الخليج وتشكل بوابة رئيسية لتركيا على دول الشرق الأوسط والمنطقة العربية .

ولأن النفوذ في موارد الغاز الطبيعي إلى جانب النفط وممراته وأنابيبه أصبح من المعايير التي تحكم التنافس الدولي برزت أهمية سوريا بموقع جيواقتصادي مهم على خريطة الطاقة العالمية (انظر الخريطة 1) (بالرغم من هامشية مواردها مقارنة بدول أخرى كدول الخليج العربي) الخريطة 1: نقل النفط من دول الجوار عبر سوريا



المصدر:

<http://kassioun.org/reports-and-opinions/it>

و هو ما يمكن أن نلمحه في سلسلة المشاريع التي قدمتها القوى الدولية ولناخذ على سبيل المثال مشروع خط الغاز القطري الذي يمر عبر السعودية فالأردن فسوريا ليلتقي بخط الغاز المصري- الاسرائيلي و ينتجه إلى تركيا وبوصوله إلى أوروبا تتخلى هذه الأخيرة على الغاز الروسي

* نيكولاس سبيكمان جيواستراتيجي هولندي أمريكي اهتم بدراسة العلاقة بين الجغرافية السياسية و السياسة الخارجية يعد أهم ما طرحه نظرية الأطراف أو النطاق الساحلي أو حافة الأرض التي تعرف بنظرية الريملاند . للمزيد راجع : حسام الدين جاد الرب ، معجم المصطلحات السياسية والدبلوماسية والاقتصادية ، (أسبوط : دار العلوم ، 2005) ، ص ص 231،232.

¹ إبراهيم أحمد سعيد، "الصمود السوري وسقوط نظريات الجيوبوليتيك الغربية"، مجلة الإعمار والبناء في سوريا ، 2018، ص 45.

*الكسندر دي سفرسكي طيار عسكري روسي قدم نظريته باسم "القوة الجوية مفتاح البقاء نظر إلى الوضع الجيوبوليتيكي في العالم في ضوء القوات الجوية ، حيث رسم سفرسكي خريطة ذات مسقط قطبي "القطب الشمالي" ووضع فيها الأمريكيين جنوب القطب وأوراسيا وإفريقيا في شمال القطب، وعلى هذا فإن تقسيم سفرسكي هو التقسيم المتعارف عليه: العالم القديم والعالم الجديد للمزيد راجع: جهاد عودة ،السياسة الدولية والإستراتيجية ، مقدمة في الدراسات الاستراتيجية الشرق أوسطية، ص 97.

، و التي من جهتها عملت على تدعيم خط بديل هو خط نقل الغاز الإيراني الذي يمر عبر العراق فسوريا ويمتد تحت البحر المتوسط لتصبح سوريا منطقة تجمع يضاف لها الاحتياطي اللبناني ويتم وفقا لهذا المخطط غلق الطريق أمام غاز نابوكو* (أنظر الخريطة 2) .

الخريطة 2: خطوط الغاز المارة عبر سوريا



المصدر : <http://www.alamaltaqa.com/news/details/1510>

2.2 واقع الأزمة السورية: العوامل/المسار

البحث في أسباب الأزمة في سوريا يستند إلى دراسة وتحليل ثلاثة محاور معقدة و مركبة ، يشتمل الأول فيها على علاقة الفرد بالدولة، أما الثاني فيرتبط بعلاقة الدولة والمكونات الاجتماعية في حين أن الأخير وهو المحور الخارجي فإنه يتعلق بالصراع الإقليمي بين تركيا وإسرائيل من جهة ، وإيران والسعودية ، وصولاً لصراع القوى العظمى بين واشنطن وموسكو وبكين.

النظام السوري منذ تولي حافظ الأسد للقيادة نظام سلطوي عسكري عمدت فيه المؤسسة العسكرية على قمع الحركة السياسية والمجتمعية ،الاقتصادية والفكرية ، كانت أبرز سياساته اضعاف قدرة الأقليات على الاندماج في المجتمع (وبالتالي هشاشة الهوية الوطنية لصالح الانتماءات الفرعية) ،سيطر فيه الحزب الواحد "الحزب القائد" حزب البعث الحاكم الذي انتهى بدوره إلى جهاز ملحق بالجهاز الأمني يهمن على المؤسسات المدنية والمنظمات الشعبية وكذا النقابات المهنية ،دور العبادة وغيرها كثير.

واصل الأسد الابن بشار سياسات والده بشكل أكثر احباطا وعجزا عن مواكبة متطلبات الداخل والخارج ، إذ أخذت سياساته المنتهجة تركز لبقاء نظام سياسي يقوم على حكم الفرد تعززه الطبقات الرأسمالية وغابت عنه العدالة الاجتماعية .وإلى جانب عدم قدرته على التحكم في زمام التناقضات بين الريف والمدينة ، وبين تجاذبات الساحل والقلب، و بين الشمال والجنوب،و بين المناطق السورية الشرقية والغربية، تهيأت الأمور في ربيع عام 2011 ، كي تنفجر الأزمة على نطاق واسع¹.

لقد كان لهذه الأزمة عوامل محلية لعبت دورا حاسما وإن كانت هذه الأسباب واحدة في مضمونها متعددة الأشكال ليست لها خصوصية في سوريا بل تعبر عن الأوضاع السائدة في معظم الدول العربية .

اندلعت الاحتجاجات في مدينة درعا ضد النظام السوري، و انطوت على تفاعل تراكمي لعوامل متعددة تعبر عن الواقع المعاش نوجزها فيما يلي:

*هو خط أنابيب لنقل الغاز من المفترض أن يمتد من تركمانستان فأذربيجان فتركيا فبلغاريا فرومانيا فهنكاري فالنمسا إلى دول الاتحاد الأوروبي تم توقيع الإتفاق على إنشائه عام ٢٠٠٩ في أنقرة مستهدفاً الإستغناء عن الغاز الروسي وعدم المرور بالأراضي الروسية .وقد تبني حلف شمال الأطلسي دعم هذا المشروع.

¹ جمال وكيم، صراع القوى الكبرى على سوريا -الأبعاد الجيوسياسية لأزمة 2011-، (بيروت : دار المطبوعات للنشر والتوزيع ،ط2 ، 2013) ، ص ص 216-218.

- تردي الوضع الاقتصادي وعدم القدرة على تحقيق معدلات نمو مرضية مع تسلط طبقة رجال الأعمال الجدد تدعمهم السلطة ، في وضع يعاني من تخلف في أداء المؤسسات والكفاءات والجهاز المصرفي ومعدلات الاستثمار ، مما أدى إلى عجز البضائع المحلية في القطاع الصناعي على منافسة البضائع الصينية والتركية خاصة بسبب الانفتاح غير المدروس.
- تدهور القطاع الزراعي ، بحيث لم تعد المواسم والمحاصيل تغطي تكاليف الانتاج خاصة الحبوب الحويية كالقمح والحمص، ضف إلى ذلك أزمة المياه وتعامل الدولة معها بمنطق دولة الفساد ومثال ذلك ردم آبار الفلاحين، في حين كان فساد الوزارات يهدر الاحتياطي المائي مثلاً¹.
- انتشار الرشوة والمحسوبية والفساد والمحابة بسبب سيطرة كبار المسؤولين والأسر على قطاع الأعمال والتجارة والتعليم ما أدى بدوره إلى انتشار الفقر والبطالة بشكل واضح في الأرياف.
- غياب الآليات الديمقراطية و الحريات العامة و إقصاء وتمييش الطبقة الوسطى بإخضاعها للرقابة الأمنية بسبب حالة الطوارئ التي تم فرضها منذ 1963.
- لهذه الأسباب وغيرها عرفت سوريا اختناق مؤسساتي حاد ولم تتمكن مؤسسات الدولة من مواكبة تطلعات الشعب وتأمين حقوقه وضمان حرياته وفشل نظام بشار الأسد في إدارة الدولة والمجتمع بسبب ضعف قنوات الحوار والتواصل ، ما أضعف المناعة الداخلية لسوريا أمام التحولات الإقليمية و الدولية وجعلها تحت وطأة التهديدات والتحديات الخارجية (على سبيل المثال قانون محاسبة سوريا في 11 فيفري 2003) فأصبحت محل استقطاب وتنافس إقليمي عززه التغيير الإستراتيجي الناجم عن الغزو الأمريكي للعراق (الذي جاء لتأكيد مشروع الشرق الأوسط الكبير والفوضى الخلاقة) وبروز قطبين إقليميين مهمين هما إيران وتركيا.
- ضف إلى ذلك انتشار موجات الربيع العربي في تونس ومصر التي خلقت حافزا ورغبة لدى المجتمع السوري من أجل مساندة هذا التيار ،الشعور الذي نمت في أوساط المجتمع المدني و كل فئات المجتمع السوري بحثا عن الحرية قامت بتغذيته وسائل الإعلام خاصة وسائل التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك وتويتر على الرغم من الاعتقاد السائد أنها لا تعدو أن تكون محرك للثورات وليست مساهما أساسيا في اندلاعها وكل ما قامت به هو دور التعبئة فقط ، عززته القنوات الفضائية من خلال تغطيتها اليومية للأحداث وإن كانت أحيانا لا تتمتع بالذاتية المناط بها المتمتع بها.
- لقد أدت الأسباب السابقة إلى انطلاق مظاهرات احتجاجية كبيرة في جميع أنحاء سوريا ، بما في ذلك المناطق الكردية، وإكتسبت زخماً في منتصف مارس 2011 ، وواجهت قمعاً وحشياً من قبل السلطات، حيث بدأت الارهاصات الأولى باعتداء شرطي سوري على أحد أبناء تجار السوق بمنطقة الحريقة بدمشق في 17 فبراير مما أثار استياء السكان وتجمعوا في مظاهرات قام الأمن بتفريقها بالقوة وانطلقت الشرارة الأولى لموجة الديمقراطية التي اجتاحت سوريا عقب اعتقال وتعذيب 15 من المراهقين الشباب بسبب كتابة عبارات مناهضة للنظام على بعض الجدران. سرعان ما انتشرت الاحتجاجات في جميع أنحاء البلاد(مع أنه وحتى 18 ماي لم تكن هناك مظاهرات رئيسية في الأحياء المركزية لأكبر مدينتين دمشق وحلب) طالب المتظاهرون في بدايتها بضرورة الإصلاحات السياسية فقط ، في ظل الرد العنيف للنظام الذي ادعى بأنها مؤامرة خارجية تطورت تلك المطالب إلى الإصرار على سقوط النظام ، وبسبب تعنت الحكومة واستخدامها لأساليب قمعية في محاولة فاشلة منها لتأطير مطالب الشعب وقيامها بقطع الطرقات ومنع الخدمات الضرورية و المواد الغذائية وقطع الاتصالات، بدأت المعارضة بحمل السلاح على شكل متزايد ، وبحلول نهاية 2011، أصبح النظام يواجه حركة تمرد مسلح كبيرة على الرغم من مواصلة المظاهرات

¹ ميس الكريدي ، سوريا مملكة الصمت تتكلم ، ص 4.

السلمية، كما أثارت وحشية قوات الأمن ردة فعل مسلحة من قبل مجموعات غير رسمية ، بالإضافة إلى الجيش السوري الحر، هنا انتقلت الأزمة في سوريا من حالة ضغط داخلي إلى حالة استقطاب دولي نستذكر بعض الأحداث التي طرأت عليها فيما يلي :

-تدخل حزب الله في 17 أبريل 2013 من خلال هجوم مشترك مع قوات النظام للسيطرة على مناطق قريبة من القيصر بسبب سيطرة جماعات سنية على الحدود الإقليمية مع لبنان.

-اعلان روسيا عن انضمام سوريا إلى معاهدة حظر انتشار الأسلحة الكيميائية إثر الهجوم بغاز الأعصاب الذي وقع في الفوطة شرق دمشق و عرفت بمجزرة الكيماوي في 21 أوت 2013 والذي على إثره أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية عن استعدادها لشن هجوم ضد النظام .

-التدخل العسكري الروسي في سوريا إثر دخول روسيا موجة الحرب منذ 30 سبتمبر 2015 والذي أدى إلى قلب موازين القوى إلى صالح النظام في ظل عجز المساندات الإيرانية والأجنبية ، و بعدها أعلنت روسيا عن سحب القم الأكبر من القوات في مارس 2016.

-التدخل العسكري التركي في شمال سوريا برا في 11 فبراير 2016 لدعم الجيش السوري الحر وقوات المعارضة.

-عملية درع الفرات التي بدأت في 24 أوت 2016 و انتهت في 29 مارس 2017 في مدينة جرابلس السورية من أجل مواجهة داعش على الحدود التركية .

-عملية غصن الزيتون التركية العسكرية بمرافقة الجيش السوري الحر منذ 20 يناير 2018 في غفرين السورية ومحيطها.

-الهجوم البريطاني الأمريكي الفرنسي على قواعد عسكرية للنظام في 14 أبريل 2018 .

إن استراتيجية الدولة السورية من أجل التصدي للأزمة سواء في مراحلها الأولى أو بعد مرور ما لا يقل عن 8 سنوات لم يغير حقيقة من مأساة الشعب السوري بل إن الآثار الناجمة عن ذلك قد أدت إلى تفاقم الوضع¹، لقد بينت كل المؤشرات و سلسلة التقارير التي طرحت حول الأزمة أن سوريا أصبحت أكبر أزمة نزوح قسري في العالم ، انخفضت معدلات التعليم و الالتحاق بالمدارس ، تعرضت البنى التحتية للدمار ومازالت معدلات النمو الاقتصادي والديمقراطية في انخفاض مستمر ، تدمير متواصل للاقتصاد ، تفاقم الركود وانحيار في أسعار الصرف ، انهيار في سجل التنمية البشرية وتدهور رأس المال البشري وأيضا النظام الصحي...، أصبحت سوريا تحت قوس من الصراع تغذيه الطائفية والعنف و لحد الآن مازالت الجهود الدولية الدبلوماسية عاجزة عن معالجة هذه الأزمة على الرغم من أن المسار التفاوضي قد مر بالعديد من المحطات إلا أن تمسك كل طرف بأهدافه في ظل الدعم الخارجي حال دون الوصول إلى اتفاق حقيقي يعالج الأزمة ، وهذا الموضوع في حد ذاته يفتح لنا أبوابا عديدة للنقاش ، إلا أننا نذكر فيما يلي أبرز تلك المحطات :

-مؤتمر جنيف الأول في 30 جوان 2012 بدعوة من كوفب عنان وكان من أبرز ما أسفر عنه العمل على تأسيس هيئة حكم انتقالي

-مؤتمر جنيف الثاني في 22 جانفي 2014 بدعوة من الأخضر الإبراهيمي وأفضى إلى نزع السلاح الكيميائي عقب أحداث غوطة دمشق .

-مؤتمر جنيف الثالث الذي كان من المفترض أن يبدأ في 25 جانفي 2016 ولكنه فشل.

-جولات أستانة في 23 و 24 جانفي 2017 برعاية تركيا و روسيا وإيران تزامنا مع مؤتمر جنيف الرابع في 23 فيفري 2017.

¹ للمزيد راجع : ربيع نصر و آخرون ، *الأزمة السورية ، الجذور و الآثار الاقتصادية و الاجتماعية* ، المركز السوري لبحوث السياسات ، 2013، ص ص 34-52. و أيضا : سورية مواجهة التشظي ! تقرير يرصد آثار الأزمة السورية خلال عام 2015 ، شباط 2016.

–محدثات جنيف الخامة في 23 مارس 2017 ناقش فيها المبعوث الدولي " ستيفان ديمستورا" مجموعة من القضايا ارتبطت بالحكم الانتقالي والدستور والانتخابات وكذا مكافحة الإرهاب¹.

3.2 . الأطراف الداخلية الفاعلة

لقد ذهب "باري بوزان" وفق مقارنة الفوضى الناشئة* للقول بأن الدول متعددة الاثنيات عندما تبدأ بالاختيار تصبح المجموعات الوطنية بداخلها مجبرة على تحقيق أمنها منفردة، فتحاول كل مجموعة تصفية وجود الأخرى بالاستعانة بالاثنيات الأخرى الموجودة حتى خارج حدود الإقليم، هذا الطرح يمكنه أن يصف لحد بعيد الوضع في سوريا داخليا، سوريا دولة متعددة الطوائف والاثنيات مع عجز النظام عن تأطير هذه الأخيرة بسبب غياب سلطة مركزية فعالة تتولى توفير الأمن معها أصبح كل طرف يسعى لتحقيق لتحقيق هذا المكسب منفردا وباستخدام القوة العسكرية وبالتالي تحول الوضع على حالة حرب داخلية أهلية وهو ما ذهب إليه أيضا كينيث وولتز حين أشار إلى أسباب نشوب الحروب انطلاقا من مستوى فردي وطني، مستوى النظام الدولي.

من خلال هذا العنصر سنحاول رصد أهم الأطراف المحلية في الأزمة السورية.

➤ حسابات النظام :

قام النظام بعسكرة الأزمة في سوريا منذ انطلاق الشرارة الأولى لها، إذ اعتبر أن الأمر لا يعدو أن يكون موقفا مفتعلا وقضية محلية تغذيها الفتنة و المؤامرة كون سوريا تقود تيار الممانعة والمقاومة، فتارة سعى إلى احتواء الوضع داخليا من خلال تخويف المجتمع السوري من التكلفة السياسية للتغيير التي تتضمن تفكك الدولة وانتشار الصراع الطائفي والفوضى في ظل انتشار البديل الإسلامي الذي عبر المستوى الإقليمي إلى المستوى الدولي، من جهة أخرى سعى النظام إلى رسم المواجهة وكأنها مع الخارج كونه أحد المؤثرين على استقرار المنطقة بسبب مكانة سوريا وموقعها الاستراتيجي، على الرغم من أن مواقف القوى الإقليمية والدولية كثيرا ما بدت محافظة في الأشهر الأولى للأزمة إن لم نقل أنها استمرت حتى الأعوام الأولى خاصة في ظل غياب بديل واضح للنظام يمكنه أن يلعب الدور الذي أداه نظام بشار الأسد.

لقد بنى النظام توجهاته على سلسلة من الحسابات التي كانت خاطئة في معظمها، حيث سعى إلى تدويل القضية وكسب الدعم الخارجي خاصة بعد فشل سياساته الإصلاحية في فك الأزمة، وسعى على صعيد آخر إلى توجيه أنظار المجتمع السوري والدولي إلى قضايا أخرى. ارتبط توجهه بالدعم الإيراني الساعي لتحقيق النفوذ المتصاعد منذ احتلال العراق وأفغانستان²، ورأى أن العديد من الدول لن تتخذ أي موقف عدائي تجاهه بسبب شبكة العلاقات التي تم نسجها قبيل سنوات وأيضاً تخوفها من موجات التحرر العربي، على صعيد آخر تخوفها من وصول المد الإسلامي للسلطة من بينها دول الخليج وتركيا وفرنسا وغيرها. واعتقد النظام بأن أوروبا لن توجه أنظاره نحو القضية في سوريا بسبب الديون التي تعاني منها بسبب الأزمة المالية العالمية، وراهن أيضاً على انشغال العالم بالقضايا الساخنة في المنطقة في كل من لبنان وفلسطين والعراق وتلتها التغييرات التي جرت في تونس ومصر واستمرار الأزمة في اليمن في ظل عجز قوات الناتو وقوات التفاوض على معالجة الوضع في ليبيا حتى بعد مرور أشهر من القصف، و عمل على الاستفادة من الوضع بين روسيا والصين وحصد دعمهما

¹ إبراهيم نصر الدين وآخرون، *حال الأمة العربية 2014-2015 الإصعاص : من تغيير النظم إلى تفكيك الدول*، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2015)، ص ص 233-526.

* قدم باري بوزان في هذا الإطار مقالة بعنوان : Barry Posen: The Security Dilemma and Ethnic Conflict 1993 حاول فيها

إسقاط مفهوم المعضلة الأمنية في سياقها الدولي المعتاد على نشوب النزاع الإثني في يوغسلافيا السابقة 1991

² George Friedman, "Syria, Iran and the Balance of Power in the Middle East", Stratfor, (19/01/2019

in : <https://worldview.stratfor.com/article/syria-iran-and-balance-power-middle-east>

بسبب تخوفهما من خسارة مكانتهما في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا فضلا عن علاقتهما المعقدة مع الولايات المتحدة الأمريكية¹، هذه الأخيرة التي كانت تعالج أزمة الملف النووي الإيراني و انتقل اهتمامها إلى منطقة المحيط الهادي خلال فترة إدارة أوباما². وحتى الأشهر الأخيرة من 2011 بدأ النظام يتلقى الصفعات، حيث اتخذت العديد من الدول موقفا عدائيا تجاهه وتم فرض العديد من العقوبات الاقتصادية و المطالبة بتنحي بشار

➤ حسابات المعارضة:

المظاهرات التي جاءت في البداية متفرقة يغيب عنها التنظيم والتوجيه في ظل تعنت النظام السوري تشكلت إثرها العديد من التيارات الإسلامية خاصة بعد عسكرة النظام للأزمة، وبرز العامل الطائفي كأحد العوامل المحركة لها، لقد سعت قوات المعارضة إلى بناء رأي عام عربي ودولي من أجل التصدي لأساليب النظام وتحقيق المطالب، بل وانتهجت سياسة قائمة على توجيه الدول للوضع في سوريا ليس من باب التعاطف بل من أجل تحقيق مصالحها داخل سوريا* وهو ما جعلها تقع ضحية للظروف المحيطة التي ارتبطت بتغير سياسات الدول ومواقفها تجاه الأزمة وأدخلها متاهة الخلافات الإقليمية والدولية.

إن رفض المعارضة لكل الجهود التي دعت لإصلاح النظام القائم وتمسكها بالحل العسكري، قد فتح المجال أن تكون مجرد أداة لتحقيق مكاسب القوى الخارجية، نلمس هذا الأمر كثيرا في غياب رؤية واحدة تتقاسمها أطراف المعارضة، بل نشهد يوما عن يوم تباينا في بعض المواقف و انشقاقات عديدة في صفوفها، ضف إلى ذلك فلكل منها رؤية أيديولوجية خاصة تحمل تصورا مختلفا لهوية الدولة المستقبلية، بل ولكل منها مصادر تمويل خاصة أيضا، الأمر الذي لم يسمح بتشكيل رؤية سياسية حقيقية منظمة يمكنها أن تواجه النظام و حلفائه، فهي لا تزال تفتقر إلى وجود قيادة سياسية فعالة و بدل من أن تقود الهيئات تيار المعارضة فهي لا تقوم إلا بتمثيله فقط.

تفاقم الأمر في سوريا حقيقة لا يمكن رده فقط للتدخلات الخارجية بل و إنه ارتبط أساسا برؤى الأطراف الداخلية. لقد حاول الطرفان تدويل القضية بحثا عن المعونة الخارجية وهو ما لم يسمح بتقدم أية تنازلات أو أي نوع من التسوية لأن كل طرف منهما كان يسعى جاهدا لإلغاء الآخر. في حين اعتقد النظام بأنه يملك جميع نقاط القوة في المعادلة وبأنه قادر على التغلب على الأزمة خاصة بعد حصده لدعم بعض القوى الإقليمية و الدولية، ضعف المعارضة في مواجهته واعتمادها الكبير على تدخل القوى الخارجية كان سببا واضحا أيضا في عدم الوصول إلى اتفاق مع النظام و فيما يلي حصده لأهم القوى الداخلية الداعمة و الرفضية:

¹ مروان قبلان، المسألة السورية واستقطاباتها الإقليمية والدولية: دراسة في معادلات القوة والصراع على سورية، (قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015)، ص 7.

² Hillary Clinton, "America's Pacific Century", 19/01/2019 in :

<https://foreignpolicy.com/2011/10/11/americas-pacific-century/>

* قام السوريون برفع أعلام تركيا وصور الرئيس التركي أردوغان من أجل دفع أنقرة لحماية الانتفاضة، كما تم حرق الأعلام الإيرانية و أعلام حزب الله وروسيا والصين باعتبارها حليفة للنظام وعدوة للإسلام بشقه السني خاصة، و قام أيضا المجلس الوطني بعد تشكيله في أكتوبر 2011 بتوجيه رسائل للغرب تحثهم على التدخل، من خلال تصريحات قدمها البعض منهم برهان غليون.

الجدول 2: القوى المحلية الداعمة والرافضة للنظام

حلفاء النظام السوري	خصوم النظام السوري
	أحزاب تقليدية : ➤ إعلان دمشق للتغيير الديمقراطي ➤ جماعة الإخوان المسلمين ➤ أحزاب الحركة الكردية
➤ الجيش العربي السوري ➤ فيلق القدس ➤ حزب الله اللبناني ➤ المجالس الشعبية ' الشبيحة' ➤ قوى معارضة رسمية تتمثل في " الجبهة الوطنية التقدمية لقيادة حزب البعث	القوى الجديدة : ➤ اتحاد تنسيقيات الثورة ➤ المجلس الوطني السوري ➤ هيئة التنسيق الوطني لقوى التغيير الديمقراطي ➤ الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة
	القوى العسكرية : ➤ الجيش السوري الحر ➤ جبهة النصرة لأهل الشام ➤ الدولة الإسلامية العراق والشام 'داعش' ➤ الجبهة الإسلامية السورية

المصدر: من إنجاز الباحثة

3. القوى الإقليمية والدولية الفاعلة

1.3 . دول الجوار وأطراف من الجوار

تعتبر إيران وتركيا والسعودية من أهم الفواعل في الأزمة السورية على المستوى المحلي أهم ما يوجه الحسابات الاستراتيجية لهذه القوى هو حسابات الربح والخسارة من أجل تحديد ميزان القوى في المنطقة، يغذي هذا التوجه نوعا ما العنصر الطائفي.

➤ إيران :

الموقف الإيراني من الأزمة السورية كانت تحكمه طبيعة العلاقات الاستراتيجية بين البلدين منذ 1979 ، حيث شكلت سوريا وإيران تحالف مهم كان من بين أسباب تحقيق التوازن في الشرق الأوسط.

العلاقات السورية الإيرانية ترجع حقيقة إلى ما قبل الثورة الإسلامية ، تارة تميزت بالسلام و تارة بالتنافر بحكم الصراع الذي كان بين الاتحاد السوفيتي و الولايات المتحدة الأمريكية من جهة ، و بحكم سياسات البلدين في المنطقة من جهة أخرى، غير أن التطورات التي عرفت في المنطقة العربية والنظام الإقليمي قد ساهم في إحداث نوع من التقارب بينهما على إثر اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية 1975 التي أدت سوريا فيها دورا لتسوية الخلافات السياسية مما أكسبها أهمية إيرانية خاصة لدى الجماعات المعارضة لحكم الشاه المرتبطة بشيعة لبنان¹. في عهد حافظ الأسد استمر التقارب بين الدولتين بسبب حالة العداء للعراق وتراجع دور مصر القيادي مما أدى إلى تراجع سوريا عن المحيط العربي لصالح إيران. بالنسبة للأسد الابن أصبحت العلاقة أشد عمقا إثر الضغوطات التي عرفها كلا الطرفين من الولايات المتحدة الأمريكية في ظل المتغيرات الإقليمية والدولية.

¹ سهام فتحي سليمان أبو مصطفى ، الأزمة السورية في ظل تحولات التوازنات الإقليمية والدولية 2011-2013 ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم دراسات الشرق الأوسط ، (جامعة الأزهر غزة: كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، 2015)، ص86.

باندلاع الأزمة في سوريا اعتبرت إيران بأن ما يحدث فيها شأن داخلي يمكن للحكومة السورية التعامل معه بسلسلة من الإصلاحات لذلك يجب حصر حل الأزمة بين النظام والسوريين دون تدخل خارجي، الأمر الذي نلمسه من خلال مؤتمر جنيف الثاني الذي توافق مع أهداف كلا الطرفين في سعيهما لتحقيق قبول دولي وإقليمي لبقاء بشار الأسد باعتباره شريكا في مكافحة الإرهاب ، إلى جانب تشكيل حكومة موسعة تضمن دمج المعارضة في النظام السياسي ولكن باحتفاظ بشار الأسد بالسيطرة الكاملة على أجهزة الأمن والجيش وتوجيه السياسة الخارجية والأمنية السورية ، هذا الموقف عبرت عنه المؤسسة الرسمية في عهد الرئيس نجاد و أيضا الرئيس حسن روحاني ، غير أن هذا الأخير أبدى بأن التحالف مع سوريا لم يعد يتعلق فقط بقرى الجغرافي أو بالمصالح المشتركة بقدر ما له جانب ايدولوجي أيضا. واعتبرت إيران أن الأحداث ما هي إلا جزء من مؤامرة تحاك ضد سوريا للقضاء على محور المقاومة في مواجهة اسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية ، ولكنها في الحقيقة لم تتوان عن تقديم الدعم المادي والمعنوي للنظام السوري من خلال البعثات الاستشارية والدعم الاستخباراتي والإعلامي والإمدادات العسكرية.

يعتبر الهلال الشيعي الذي يضم العراق وسوريا ولبنان بالنسبة للأمن القومي الإيراني خط الدفاع الأمني الأول ضد التهديدات الخارجية ، لذلك فحساسة سوريا ستؤدي إلى اختلال المعادلة الجيوبوليتيكية لغير مصلحة إيران¹. فسوريا نافذة لإيران على العالم العربي والبحر المتوسط الذي طالما كان حلما لها لجعله سوقا لتصريف الغاز والنفط في الأسواق الأوروبية خاصة في ظل اكتشاف حقول الغاز فيه - والتي أشرنا إليها مسبقا- وتعد همزة وصل بين الحلفاء الآخرين حركات المقاومة اللبنانية والفلسطينية (خط : طهران ، بغداد ، دمشق ، بيروت ، فلسطين)، ضف إلى ذلك فسوريا أساس المحور الشرقي إلى جانب روسيا لكسر الهيمنة الأمريكية في الخليج العربي والشرق الأوسط ، سوريا الحصن المنيع لإيران ضد نفوذ المحور التركي -السعودي فهي تشكل حاجزا طبيعيا بين تركيا من جهة وشبه الجزيرة العربية والأردن من جهة أخرى وهي شريك يعتمد عليه لجعل إيران جزءا من الصراع العربي الإسرائيلي، لذلك فأى تغيير قد يطرأ على النظام السوري قد يؤدي إلى فقدان أهم حليف لها مما يؤدي إلى تغيير ميزان القوى لغير صالحها وقد يشكل ضغطا عليها قد يكون سببا في التدخل الخارجي أو شن هجوم عليها ، لذلك سعت إيران أن تكون عنصرا أساسيا في المعادلة الإقليمية بسياسة براغماتية نفعية من أجل تمرير مشروعها النووي وذلك من خلال قيامها بتوسيع نفوذها خاصة في غياب ما يعرف بالدولة الدور بسبب سقوط نظام البعث في العراق ونظام طالبان في أفغانستان والاختراقات التي مني بها النفوذ الأمريكي خاصة بعد سحب القوات من العراق ، وأيضا غياب الدولة الرادعة في ظل الاضطرابات الأمنية التي عرفتها المنطقة العربية² ، سوريا هي الورقة الراجعة من أجل تحقيق هذا المطمح.

➤ حزب الله :

ارتبطت لبنان بسوريا وفق علاقات تاريخية جد متداخلة بالرغم من أن هذه العلاقة تراجعت بشكل كبير إثر اغتيال رئيس الوزراء اللبناني 'رفيق الحريري' ، مما أحدث انقساماً كبيراً وسط الأحزاب السياسية في موقفها اتجاه الأزمة (موقف حكومي ، موقف الآذاريين ، موقف حزب الله)، ففي حين تبنت حكومة 'نجيب ميقاتي' موقفاً وسطياً ملتزم بالتضامن العربي في إطار الجامعة العربية من أجل تجنب ويلات الصراع داخل سوريا والخوف من انتقالها إلى داخل لبنان (الخوف من انتشار العنف الطائفي والمذهبي من جهة، والخوف من تفشي البطالة والأمراض -إلى جانب تلك الموجودة أصلاً- بسبب تزايد وفود اللاجئين السوريين الذين يضاف عددهم إلى اللاجئين الفلسطينيين) ، تمكنت سوريا من كسب دعم حزب الله لها ،حاول الحزب في بداية الأزمة الابتعاد عن الأحداث في سوريا وتمسك على غرار إيران كما سبق وأشرنا بأن ما يحدث في سوريا ليس ثورة شعبية بل هو مؤامرة من أجل كسر محور الممانعة وتهديد الأمة العربية .

¹ علي حسين باكير، "معوقات التغيير: لسياسة الإيرانية تجاه الأزمة السورية"، *مجلة السياسة الدولية*، العدد 196، 2014، ص 83.

² عبد الله راشد العرقان ، البراغمة الإيرانية ودورها تجاه الأزمة السورية (2011-2017) ، *مجلة دراسات وأبحاث* ، العدد 30 ، 2018، ص 12.

تمثل سوريا حليف استراتيجي لحزب الله، فهي ممول أساسي له بالسلاح والعتاد إلى جانب دعم موقفه بالتأثير على السياسيين اللبنانيين، لذلك سعى الحزب في فترات لاحقة خاصة بعد 2012 إلى نصرته النظام السوري، حيث قدم الدعم خاصة في المناطق القريبة من الحدود اللبنانية السورية مثل منطقة القصير، (من بين الإجراءات التي اتخذها الحزب هو حفر الأنفاق في المناطق الوعرة على طول الحدود مع سوريا ونقل منصات الصواريخ إلى المناطق والمرتفعات القريبة من الحدود السورية المشرفة على مناطق البقاع) و لكنه من جهة أخرى كان مستعدا إلى تشكيل تحالفات جديدة مع المعارضة وإيران بسبب العلاقة القوية بينهما والتي ترجع إلى وحدة المذهب الديني والمصلحة المشتركة في إضعاف إسرائيل في حالة زوال نظام بشار الأسد.

➤ تركيا :

اتسم موقف تركيا من الأزمة في سوريا بالتقلب، وإن بدت سياستها متغيرة إلا أنها حقيقة عمدت إلى تحقيق المصالح التركية الاستراتيجية بالدرجة الأولى. فبحكم الجوار الجغرافي جمع بين تركيا وسوريا علاقات تاريخية ممتدة اتسمت تارة بالعداء و تارة أخرى بالتعاون، والمتصفح لتاريخ هذه العلاقة يجد أن طابع التأزم في الحقيقة قد بدأت بوادره بالظهور منذ تأسيس الجمهورية التركية الحديثة بزعامة ' مصطفى كما أتاتورك' على إثر سلسلة من القضايا الخلافية أهمها قضية لواء الاسكندرية، قضية المياه، والمسألة الكردية*.

ضف إلى ذلك فكلا الطرفين كانت لهما خيارات استراتيجية مختلفة إن لم نقل متناقضة، ففي حين تبنت تركيا توجهات غربية تبنت الحكومة السورية توجهات اشتراكية يسارية، واعتبرت سوريا اعتراف تركيا بإسرائيل في 1949 وتنامي التعاون العسكري بينهما يشكل ضغطا وتهديدا أمنيا عليها وعلى الأمن الاستراتيجي القومي العربي و في كل المجالات، في حين كانت تركيا تنظر بريبة للتعاون السوري اليوناني.

بدأ مشهد العلاقات بين الطرفين يأخذ دورا آخر ميزه الحوار والتفاهم من خلال توقيع اتفاق أضنة الأمني* الذي تلاه توقيع اتفاقية أنقرة 1999 من أجل تعزيز الثقة وتبادل العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية بين الطرفين، وشهدت بعدها العلاقة نقلة نوعية منذ تولي حزب التنمية والعدالة للسلطة، وتطورت العلاقات بسرعة فائقة قبيل النزاع في ظل التطورات التي حدثت في تونس ومصر، أين ظهر نوع من التوافق بينهما في تأييد مجريات الأحداث.

جاء موقف تركيا مع بداية الأزمة معبرا عن تأييد الاحتجاجات والمظاهرات، واعتبراها مطالب سلمية ديمقراطية مشروعة، وعلى النظام أن يتعاط معها بطرق إيجابية عن طريق اللجوء إلى سياسات اقتصادية واجتماعية إصلاحية وإجراء تعديلات تشريعية و دستورية، ليتمكن من تجاوز هذه الأزمة الداخلية، هذا الموقف ينطلق من محددات أهمها القرب الجغرافي وطبيعة العلاقات الاقتصادية التي تطورت بين البلدين، إلى جانب التخوف من الطائفية و التنافس الإيراني¹.

*قامت تركيا بضم أراضي سورية على رأسها لواء الاسكندرية بمؤازرة فرنسا وفقا لاتفاقية أنقرة الثانية 1939. على الرغم من الاتفاقيات الدولية المحددة لتقاسم المياه إلا أن الطرف التركي و السوري لم يعتبرها محددات قانونية، حيث قامت تركيا بإنشاء سلسلة من السدود الكبرى على نهر الفرات فحجزت القسم الأكبر منه وحجزت أيضا مياه نهر الخابور حتى توقف جريانه في الأراضي السورية، وعلى صعيد آخر كانت تركيا تتهم سوريا بتدريب وإيواء عناصر من حزب العمال الكردستاني، هذا الأمر الذي أوصل النزاع إلى أوجه في 1998 حين هددت تركيا باحتياح سوريا بحجة وقف هجمات حزب العمال الكردستاني وإيواء القائد ' عبد اله أوجلان' إلا أن تدخل أطراف خارجية من بينها تهديد ليبيا بطرد الشركات التركية قد أوقف حالة التأزم.

*تم بموجبها وقف نشاط حزب العمال في سوريا وإسقاط ملف حزب العمال الكردستاني من أجندة المباحثات، وتم تجاوز قضية المياه من خلال إنشاء سد مشترك على نهر العاصي والسماح لسوريا بري المزيد من أراضيها.

¹ أركان إبراهيم عدوان، انعكاسات الربيع العربي والأزمة السورية على تركيا، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، العدد 47، 2014، ص 170.

من خلال موقفها حاولت تركيا إيجاد توافق داخلي وإقليمي ودولي بين تحقيق المصالح التركية بما يتناسب مع مكانتها كدولة مؤثرة وفاعلة ولاعب رئيسي في المنطقة ، ومن جانب آخر تعزيز استقلالها بشكل يجنبها التصادم مع ترتيبات القوى الكبرى ويجعلها تحافظ على علاقتها مع الأنظمة العربية (دعم الدول من خلال الترويج لنفسها كإحدى الديمقراطيات الرائدة ، وكنموذج إسلامي اقتصادي يمكن تعميمه . على هذا الأساس جاء التحرك التركي تجاه الأزمة في سوريا ، لقد كان الموقف إيجابيا في البداية واتسم بالتصعيد تدريجيا ، حيث قامت تركيا بتغيير موقفها بعد أن فشلت في دفع النظام لإيجاد إصلاحات حقيقية ، وارتفاع حدة الصراع بين النظام والمعارضة ، فاتخذت شكل العداء الصريح بالضغط على النظام ومطالبة الرئيس بالتخلي النهائي عن السلطة ، وتشكلت القطيعة شبه التامة بين النظامين في ظل تطور التحالف الإستراتيجي بين سوريا و إيران .

لقد حاولت تركيا تقديم النصائح والمشورة للنظام ، ومن جهة أخرى لجأت لاستخدام وسائل ضغط للتوجه نحو الإصلاح وجاء دورها من خلال آليات عدة من بينها :

- عملت تركيا على دعم المعارضة السياسية والتأثير فيها بمنحها التسهيلات المادية و اللوجستية لتطوير عملها وإسقاط النظام ، فأصبحت أهم مركز لتجمعاتها ، ونشطت دبلوماسيا من أجل الاعتراف بالمعارضة حتى تحظى بالشرعية التمثيلية ، فسمحت لها بافتتاح مكاتب وعقد اجتماعات داخل تركيا ، واستضافت على جانب المعارضة العديد من الناشطين السوريين¹.
- فتحت تركيا أبوابها أمام اللاجئين السوريين وتولت مسؤولية رعايتهم .
- بالرغم من امتناعها عن تسليح المعارضة مباشرة ، إلا أنها سمحت بمرور السلاح عبر أراضيها وفتحت حدودها أمام منظمات الإغاثة وقدمت لها كل التسهيلات².

إن الأزمة في سوريا قد وضعت تركيا أمام تحديات كبيرة بسبب ارتباطها بحدود كبيرة معها ووجود علاقات متداخلة ثقافية وعائلية على جانبي الحدود ، وهو ما جعلها تواجه قلق انتقال الأحداث الأمنية داخلها خاصة فيما يتعلق بالمسألة الكردية التي أظهرت طبيعة الانقسامات العرقية والطائفية في تركيا وأصبحت هاجسا استراتيجيا للوحدة القومية ووحدة الأرض والخوف من قطع العلاقات مع الدول الداعمة. وجاء موقفها بعدم التدخل العسكري بسبب عدم توفر الغطاء الدولي القانوني (تفويض من هيئة الأمم المتحدة أو حلف شمال الأطلسي) وأيضا في ظل رفض البرلمان التركي ومؤسسة الجيش لما لها من تأثير على الأمن القومي والاقتصاد .

➤ دول الخليج :

تباينت مواقف دول مجلس التعاون الخليجي تجاه الأزمة السورية نظرا لاختلاف مصالحها وأهدافها، ففي حين قامت بعض الدول بدعم النظام ، قام بعضها بدعم المعارضة ، وفضل البعض الوقوف محايدا، إلا أن أهم الدول التي لعبت دورا في إدارة الأزمة هي قطر والسعودية ، والجدير بالذكر أنه وبغض النظر عن مواقف ورؤى تلك الدول إلا أنها تشاركت هاجسا واحدا أو وهو التخوف من حالة عدم الاستقرار في المنطقة ، وما قد تؤول إليه الأوضاع في حالة تدخل أطراف إقليمية ودولية ، الأمر الذي من شأنه أن يزيد من مآلات بعض القضايا الطائفية والعرقية والمذهبية أيضا .

✓ قطر:

قبل اندلاع الأزمة في سوريا كان هناك تقارب وتعاون بين البلدين على المستوى السياسي والاقتصادي ، وشهدت التفاعلات بينها تطورا ملحوظا على ضوء الزيارات المتبادلة بين الطرفين ، وفتح المجال أما الاستثمار القطري داخل سوريا³ حتى اعتبرها البعض علاقات تحالف

¹ عزمي بشارة ، في الثورة والقابلية للثورة ، (الدوحة : المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، 2011 ، ص 508.

² المرجع نفسه ، ص 510.

استراتيجي، إلا أن التوتر أصبح الصبغة التي ميزت العلاقات السورية-القطرية بعد اندلاع الأحداث في سوريا والذي يرجع إلى الموقف القطري المساند والداعم للمعارضة السورية .

لقد حاولت قطر احتواء الأزمة بالتأكيد على ضرورة الإصلاح والدعوة للحوار، بالرغم من أن الصحف والقنوات الإعلامية وقفت من البداية لدعم الاحتجاجات ، إلا أن التحول في موقفها هذا تجاه النظام (من مجرد مراقب إلى طرف مساهم في الحل ، ومن موقف فردي معارض للنظام إلى موقف جماعي مع دول مجلس التعاون الخليجي كالسعودية والبحرين والكويت) يرجع لأسباب عدة نذكر منها ¹ :

- بسبب تراجع الدور التاريخي لمصر في المنطقة العربية والشرق الأوسط ، حاولت قطر لعب دور الزعامة والريادة والابتعاد عن الهيمنة السعودية .

- تخوف قطر من محاولات الهيمنة الإيرانية خاصة بعد دورها في البحرين ، وبالتالي فإسقاط سوريا الحليفة يعتبر ورقة رابحة لتوجيه ضربة لإيران.

- طبيعة القيادة القطرية التي يوجهها الطابع البراغماتي لا الحسابات الإيديولوجي.

لقد حاولت قطر ترسيخ دورها في الأزمة وذلك باتخاذ العديد من الإجراءات تمثل أبرزها في غلق السفارة بدمشق وتعليق أعمالها في سوريا ، وجاءت المساندة لقوات المعارضة من خلال محاولة خلق إجماع عربي ودولي ضد النظام السوري في إطار جامعة الدول العربية ومن خلال المؤتمرات والمحافل الدولية ، ضف إلى ذلك احتضانها لاجتماعات المعارضة والتي كان أهمها اجتماع الدوحة في 8 نوفمبر 2018 والذي اعترفت فيه بدعمها للائتلاف الوطني كمثل للشعب السوري.

✓ **السعودية:**

تميزت العلاقات السورية -السعودية بالتذبذب ، التعاون تارة والتنافس تارة أخرى ، حيث أن علاقات التفاهم التي كانت بين الطرفين لم تدم طويلا ، وعرفت توترا حاد منذ 2005 بسبب العديد من الملفات الخلافية داخل ثلاث يؤثر توتر ألا وهي : العراق ، لبنان ، فلسطين .

لقد وقفت السعودية موقفا مناهضا للأحداث في سوريا من منطلق رفضها لتغيير الأنظمة الحاكمة عن طريق الثورة و الاحتجاجات ، فاعتبرت بأن ما يحدث في سوريا مؤامرة لزعة أمن النظام السوري، إلا أن الموقف السعودي شهد تغييرا هو الآخر ، فبعد فترة من التحفظ عبرة السعودية عن تحولها لدعم المعارضة ^{*} . وباستقراء لسلسلة من الأحداث نجد أن السعودية وتحت تأثير نوعي للرأي العام السعودي آثرت الوقوف إلى جانب المعارضة لاسيما مع تدخل إيران وحزب الله في معادلة النزاع كأطراف داعمة للنظام السوري ، مع بروز مواقف إقليمية ودولية داعمة للمعارضة.²

♦ تصدرت قطر الاستثمارات الخليجية في قطاع المال وبنات لها نصيب الأسد من الاستثمارات الخليجية في دمشق ، تمثلت في امتلاك بنك قطر الدولي نسبة تزيد عن 50% من البنك الوطني في سوريا ، والذي يعمل برأس مال قدره 300 مليون دولار ، كما يمتلك بنك قطر الدولي الإسلامي 30% من بنك سوريا الدولي الإسلامي .

¹ وليد حسن المدلل ، محمد سمير الرنتيسي ، مقومات وسمات السياسة الخارجية القطرية، *مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الاقتصادية والإدارية -* ، المجلد 22 ، العدد 1 ، 2014 ، ص ص 129، 130.

* أكد وزير الخارجية " عادل بن أحمد " أن موقف المملكة هو الإصرار على عدم وجود دور لبشار الأسد في مستقبل سوريا ، ونقلت وكالة الأنباء السعودية عن " محمد بن سلمان " تأكيده على حرص السعودية على تحقيق تطلعات الشعب السوري و إنهاء ما يتعرض له من مآسي بسبب النظام ، كما أشار الملك عبد الله بن عبد العزيز في 8 مارس 2011 على أمن ما يحدث في سوريا ليس من الدين و لا من الأخلاق والقيم .

² Smith Ben , **Syria : no end in sight** ; research paper , House of commons library , 2012 , P 15.

لقد عملت السعودية على دعم المعارضة ماديا وسياسيا وإعلاميا . من جهته تولى الإعلام السعودي شن حملات مساندة للثورة السورية ، في حين طالبت السعودية منذ 2012 بضرورة تسليح الشعب السوري ليتمكن من الدفاع عن نفسه ضد النظام ، وبدأت تدخلها المباشر بإرسال طائرات حربية إلى قاعدة ' أنجريك' التركية لتكون على أهبة الاستعداد ، وقامت بتزويد المعارضة بصواريخ جراد أرض-أرض¹ . كما قامت السعودية في إطار التعاون والتنسيق المشترك والشراكة الإستراتيجية الإنسانية القائمة بين الحكومة والمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين بتوقيع حملة تفاهم تقتضي بتوفير 2500 وحدة سكنية في مخيم 'الزعتري' بالأردن تتسع 13.000 لاجئ سوري ، وذلك بتكلفة تقارب 8 ملايين دولار أمريكي² .

إن تورط السعودية في الكثير من قضايا المنطقة كاليمن و البحرين جعلها تعيد حساباتها بين أولويات الأمن القومي و استراتيجياتها في المنطقة ، لذلك سعت لتقديم مشاريع التسوية في سوريا للبحث عن حل عاجل والخروج بنتائج قد تجعل منها أمام الشعوب قد حققت شيئا .

2.3 . التنافس بين القوى الكبرى وتشكيل التحالفات

طبيعة العلاقات الأمريكية مع روسيا و الصين والتي تميزت بحالة من التعقيد الشديد انعكست حول مواقف كل منها تجاه الأزمة.

➤ روسيا :

اتسم خط سير العلاقات السورية -الروسية عبر تاريخها الطويل بالديمومة رغم كثرة الأحداث وسرعة التطورات اللاحقة ، مما يجعلها تتجاوز حدود الصداقة التقليدية ،وتؤسس لمستوى استراتيجي من التعاون والتنسيق الشامل على كافة الأصعدة . على هذا الأساس اتخذت روسيا موقفا مثابرا في دعم النظام السوري منذ بداية الأزمة ، حيث رفضت بداية إطلاق مصطلح الثورة على الأحداث في سوريا وأبدت معارضتها الشديدة لأي تدخل أو تحرك دولي في سوريا من خلال تعطيل قرارات مجلس الأمن التي أدانت استخدام النظام للقوة المسلحة ، ورفضها للعقوبات الدولية المفروضة خاصة الأمريكية منها باستخدام حق النقض³ ، ضف إلى ذلك اعتمدت روسيا موقفا سياسيا واضحا إزاء قوى المعارضة و اعتبرت أن المؤسسات التمثيلية ما هي إلا جماعات موالية للغرب تكون من إسلاميين متطرفين . واتضح الموقف الروسي من خلال تقديم الدعم السياسي و الدبلوماسي داخليا وخارجيا إلى جانب التزويد غير المنقطع للجيش السوري بالسلاح .

الموقف الروسي لم يكن اعتباطا ، وإنما تدفعه مصالح كثيرة سياسية وإستراتيجية وعسكرية واقتصادية في جوهرها ، انطلاقا من الموقع الجيوبوليتيكي المهم لسوريا ، فهي تعد موطن قدم استراتيجي لروسيا في المنطقة الحيوية الشرق الأوسط ، وعندما نتحدث عن المصالح الحيوية بين البلدين، فإن أول ما يمكن أن يتبادر إلى الذهن هو الدوافع الاقتصادية التي ترتبط بالعلاقات التجارية بينهما ، خاصة في مجال الاستثمار و التجارة و الطاقة والسلاح ، أين قدر حجم التبادل سنة 2010 ب 1.1 مليار دولار إلى جانب توقيع العديد من الاتفاقيات

¹ بشارة ، مرجع سابق ، ص ص 536،537.

² "المملكة العربية توفر 2500 للاجئين السوريين في مخيم الزعتري بالأردن" ، (2019/01/20) نقلا عن :

<https://www.unhcr.org/ar/news/latest/2012/9/50616f336.html>

³ عبد الرحمان يونس لعبيدي ، موقف روسيا الاتحادية من الثورات العربية الثورة السورية نموذجا ، مجلة دراسات إقليمية ، العدد 91 ، العراق ، 2013 ، ص

والعقود المبرمة مع الشركات الروسية المتخصصة في صناعة الأسلحة والتي تجددت عقودها بعد عملية شطب الديون السابقة*، كما استثمرت الشركات الروسية فيما مجموعه 20 مليار دولار عام 2009 وانخرطت في تنفيذ مشاريع أخرى في مجال الطاقة¹.

ويذهب الكثير من المراقبين إلى أن ما تريده روسيا هو الاحتفاظ بقاعدة طرطوس البحرية العسكرية، خاصة وأنها طالما عانت من عدم قدرتها للوصول إلى المياه الدافئة الأمر الذي يضفي أهمية استراتيجية بالنسبة للمراكب البحرية الروسية الموجودة في البحر المتوسط، إلى جانب مكافحة القرصنة البحرية و شحن الأسلحة و الذخائر².

ويأتي على قائمة الأهداف الإستراتيجية للتدخل السوري تحدي الهيمنة الأمريكية على الشؤون العالمية، فسوريا أصبحت ساحة للصراع بين القوى الكبرى، لذلك جاء النزاع فيها كفرصة مهمة تؤكد فيها روسيا على إثبات وجودها ودورها على المستوى الدولي، وتكون بذلك طرفا فاعلا في إدارة الأزمات من خلال استعراض الحلول و التدخل للضغط والمنافسة.

وما عزز هذه الرؤية هو التردد أو التراجع الذي وسم قرارات إدارة "باراك أوباما" تجاه القضية في بحثه عن سياسة جديدة تمنعه من الخوض في حروب الشرق الأوسط، خاصة مع تجاهل واستخفاف أمريكا و أوروبا لروسيا في العديد من القضايا الدولية فرأته موسكو يشكل حصارا غربيا استراتيجيا ضدها³.

على صعيد آخر، ونظرا لطبيعة الأحداث الداخلية في روسيا خاصة في ظل تصاعد الاحتجاجات من حين لآخر داخل المناطق ذات الوجود الإسلامي، نجد أن روسيا جعلت وجودها في سوريا بمثابة خذ دفاع لمواجهة تمدد الحركات الإسلامية التي وإن استقطاب المسلمين الروس سيؤدي ذلك إلى تهديد وجود النظام القائم وبسبب تشجيع الاحتجاجات داخلها.

ولأن سوريا تعد الحليف في المنطقة و لها علاقات تاريخية معها إلى جانب علاقاتها مع إيران، تعالت الأصوات داخل القوى والتيارات المحافظة ومنتجي الأسلحة داخل روسيا لتأييد موقفها داخل سوريا و الدفع بها لاتخاذ موقف أكثر صرامة مع الولايات المتحدة الأمريكية.

لذلك، من أجل تعزيز موقفها تبنت روسيا العديد من الوسائل لمعالجة الوضع في سوريا، إذ اعتمدت على إستراتيجية سياسية من خلال طرح العديد من المبادرات السياسية، و عقد المؤتمرات الدولية، فكان من أهم المبادرات التي نجحت في تطبيقها هو مبادرة التسوية السياسية على إثر إعلان أمريكا تبنيها شن ضربة عسكرية على النظام بعد استخدامه للأسلحة الكيماوية في 9 سبتمبر 2013 ضد المدنيين، تضمنت هذه التسوية انضمام سوريا إلى معاهدة حظر انتشار الأسلحة الكيماوية و الكشف عن مراكز إنتاج الأسلحة و تخريبها مقابل إيقاف الضربة الأمريكية⁴.

* قبيل اختيار الاتحاد السوفيتي كان يورد لسوريا كميات كبيرة ما نتج عنه ديون بكل كير بلغت أكثر من 13 مليار دولار عام 1992، فجاء على إثر زيارة بشار الأسد في 2005 لحل أزمة الديون توقيع البيان الروسي-السوري المشترك حول تعميق علاقات الصداقة والتعاون بين البلدين وتم توقيع اتفاقية للتسوية المديونية السورية و القروض المقدمة لها وقامت روسيا بشطب 80% من الديون.

¹ أنا بروشفسكايا، مصالح روسيا الكثيرة في سوريا، مركز الشام للبحوث و الدراسات، تقرير أجنبي نقلا عن معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، سوريا، 2013، ص 4.

² ثامر سبعاينة، "سوريا صراع المصالح"، (2019/02/15)، نقلا عن :

<http://www.odabasham.net/%D8%B3%D8%A7%D8%AD%D>

³ عامر هاشم عواد، التحول في العلاقات الروسية الأمريكية، المجلة العربية للعلوم السياسية، جامعة بغداد، ص 12.

⁴ أحمد دياب، حلفاء روسيا ... و إرق بريجنيف، مجلة العرب الدولية، العدد 1588، السعودية، 2013، ص 10، 11.

وبالرغم من فشل محادثات السلام التي أطلق عليها اسم اللقاء التشاوري السوري- السوري التي استضافتها موسكو بعد فشل محادثات السلام الدولية في جنيف 2012-2014 إلا أن روسيا خلال هذه الفترة تمكنت من التعاون مع الصين لإحباط المشاريع وقرارات المنظمات الدولية التي أدانت النظام السوري في انتهاكه لحقوق الإنسان واستخدام العنف*.

وفي إستراتيجيتها العسكرية كانت روسيا تدعم ركائز النظام السوري من خلال مده بالأسلحة ، إذ جلبت قوات متنوعة بحرية، برية وجوية إلى الأراضي السورية تضمنت سلاح استخبارات جوي ، طائرات دون طيار ، كتائب مشاة ، و تمثلت مهامها في دعم قوات النظام ، و المشاركة في المعارك الدفاعية والهجومية و تقديم الاستشارات و التدريب .

إن التدخل الروسي في سوريا قد ركز في الأساس على الحفاظ على نظام الأسد وكسب التأييد الدولي ، حيث حاولت روسيا الدفاع عن موقفها ومحاولة إقناع المعارضة بالتنازل عن المطالب ، غير أن سياستها قد تغيرت منذ 2016 ، أين قلصت نطاق وكثافة الهجمات طبقاً لاتفاق وقف الأعمال العدائية الذي تفاوضت عليه مع الولايات المتحدة الأمريكية ، وأعلن بعدها الرئيس " فلاديمير بوتين " الانسحاب من سوريا ، ليضه روسيا في موقف مرن يزيد من نفوذها ويجنبها الأعباء ، وفقاً لما تحقق على طاولة المفاوضات ، وبالتالي تكون لديها القدرة على العودة للتصعيد تحت شعار مكافحة الإرهاب ودعم العملية السياسية .

➤ الصين :

ترجع العلاقات السورية -الصينية إلى 1955 وقد توثقت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين منذ 1980 من خلال دور الصين في تقديم المساعدة للشركات السورية ، وتصدير التكنولوجيا لمواجهة العقبات الأوروبية ، ومنذ عام 2006 أصبحت سوريا عميلاً اقتصادياً لها من أهمية استراتيجية ودبلوماسية في ضمان استقرار الشرق الأوسط وحماية مصادر الطاقة¹.

اتخذت الصين موقفاً محايداً وحذر في بداية الأزمة ، حيث دعت إلى ضرورة الحوار والتوصل إلى حل سلمي ونبت العنف ، انطلاقاً من تبني إجراءات إصلاحية تستجيب لمطالب السوريين ، كما عارضت استخدام القوة من أجل تغيير النظام السياسي . لقد تطور هذا الموقف إلى الانحياز الكلي لدعم النظام ، بدعمها لروسيا ورفض تدويل الأزمة ، ومعارضة التدخل العسكري أو فرض العقوبات على اعتبار أن القضية السورية شأن داخلي .

هناك العديد من المحددات والمتغيرات التي حكمت الموقف الصيني والتي كانت في بعضها مشابهة للموقف الروسي (من منطلق تشاركهما الحدود السياسية ووجود مصالح اقتصادية مشتركة أيضاً مما عزز فرص التنسيق بينهما في المسرح الدولي) يأتي في مقدمتها :

- الهاجس الأمريكي ، فبالنسبة للصين إسقاط النظام السوري يعني محاصرة إيران وبالتالي إغلاق الشرق الأوسط في وجهها وعدم قدرتها على الخروج إلى البحار.*

- تعد المنطقة مجالا حيويًا للاستثمار والتبادل التجاري ، وبالتالي فالتوجه الصيني نحوها كان رغبة في تأمين متطلبات التنمية الاقتصادية بفتح الأسواق واستقطاب الاستثمارات ، وهو ما يؤمن الاستقرار الداخلي و المكانة العالمية ، فالصين بموجب ذلك تسعى لتعميق

* تمكنت روسيا من إحباط مشروع قرار مجلس الأمن في 4 أكتوبر 2011 إلى جانب مشروع القرار العربي- الغربي بمجلس الأمن في 5 فيفري 2012 ن وتكرر الأمر في 19 جويلية 2012 بنقضها للقرار الذي تقدمت به فرنسا وبريطانيا بشأن وقف العنف في سوريا ، أما في 22 ماي 2014 استخدمت حق الفيتو ضد مشروع قرار تقدمت به فرنسا لإحالة ملف سوريا للمحكمة النائية الدولية .

¹ وليد عبد الحي ، محدّدات السياسة الروسية و الصينية تجاه الأزمة السورية ، مركز الجزيرة للدراسات ، 2012 ، ص 7.

* خروج الصين للبحار محكوم بائتلاف قوة بحرية مكونة من جزر تابعة للولايات المتحدة الأمريكية من اليابان إلى تاوان إلى الفلبين إلى ماليزيا و اندونيسيا ، ومن الجنوب من بورما إلى تايلاند إلى الفيتنام والهند المرتبطة بالرأسمال الأمريكي.

علاقتها مع إيران باعتبارها أهم مورد للنفط ، وتعمل على تزويدها بتكنولوجيا الأسلحة وبالتالي فسوريا تمثل أهمية استراتيجية باعتبارها حليفا قويا لإيران .

- التخوف الصيني من صعود الإسلاميين في المنطقة العربية ، لأنه يعتبر مدخلا يؤثر على الأقليات المسلمة داخل الصين خاصة تلك التي تطالب بالحرية و الانفصال .

يتضح إذا أن موقف الصين يعبر عن سعيها إلى إعادة هيكلة النظام الدولي ، والانخراط في الأحداث العالمية ، لتكون شريكا فعالا خاصة في المنطقة العربية ، خاصة بعد استخدامها المتكرر لحق الفيتو ودعم روسيا في مجلس الأمن .

➤ أمريكا :

سوريا بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية تمثل قلب الشرق الأوسط وبوابته لممر خطوط أنابيب النفط والغاز ، والطرق الحيوية الإستراتيجية ، إلى جانب دور نشاطها الرئيسي في الشؤون السياسية والثقافية .

منذ استقلال سوريا 1946 كانت العلاقات بين البلدين متشابكة ومعقدة ، حيث انقطعت العلاقات الدبلوماسية تماما بعد حرب يونيو 1967 ثم تم استئنافها عام 1974 بزيارة "نيكسون" إلى دمشق ، وتحولت بسبب أحداث عدة من بينها التدخل السوري في لبنان ، دعم الفدائيين الفلسطينيين ، علاقات سوريا مع العراق و إيران ، أحداث 11 سبتمبر وما سبقتها من استلام "جورج بوش الابن" وطاقمه للإدارة الأمريكية واستلام نجل الرئيس "حافظ الأسد" زمام الرئاسة .

القراءة الموضوعية والدقيقة لتاريخ العلاقات السورية الأمريكية تظهر ديمومة ارتباطها بعوامل غير مباشرة في سياق التوصيف الطبيعي للعلاقات بين الدول وذلك مرتبط أساسا بطبيعة العلاقة بين إسرائيل و أمريكا التي تقف حج عثرة في مجمل علاقاتها بكل دول المنطقة . بعد اندلاع الأزمة في سوريا لم يكن الموقف الأمريكي واضحا البتة ، إذ التزمت بإدانة النظام لفظيا والدعوة لتلبية مطالب المحتجين والالتزام بالإصلاحات ، بالرغم من أنها كانت تواجه سوريا كونها داعمة للإرهاب ومهددة للمصالح الإسرائيلية بدعمها لحماس وفصائل المقاومة. الموقف الأمريكي قد مر بتحويلات عدة خلال الأعوام الأربعة بعد اندلاع الأزمة ، إذ اتسم بالارتباك مع هذا المتغير الجديد ، لذلك اكتفت بداية بمراقبة سلوك النظام وردات الفعل الشعبية ، بل واعتمدت على تركيا في الدفع بما لاتخاذ موقف متقدم بعيدا عن وساطتها في الأزمة ، ثم اتجه موقفها للحديث عن إمكانية الحل السياسي ، إلا أن هذه المقاربة الأمريكية شئت تحولا بعد تتويج " باراك أوباما" الذي أكد في ولايته على استخدام الطرق السلمية والبحث عن الحلول الدبلوماسية.

لتفادي تداعيات الحل العسكري انحازت الولايات المتحدة الأمريكية إلى ضرورة فتح الحوار وتراجعت عن مطالبها في تنحي بشار الأسد. هذا الموقف الغامض جاء وفقا لمحددات عدة كان لها دور في دفع الموقف الأمريكي إلى الأمام تارة و إلى الخلف تارة أخرى من بينها: الالتزام بالحفاظ على أمن إسرائيل في ظل تزايد نفوذ الدول الكبرى كسوريا و الصين الذي قد يؤدي إلى تراجع الدور الأمريكي ، ضف إلى ذلك فإن الولايات المتحدة الأمريكية بعد الفشل الذي تكبدته في العراق و أفغانستان تبنت سياسة عدم التورط في حروب المنطقة (سياسة تجنب) ، إلا أن هذا الأمر أثار جدلا واسعا على صعيد المسؤولية الإنسانية و الأخلاقية التي رأت بأنها تتحملها نتيجة لعدم اتخاذها مواقف حاسمة لمواجهة العنف في سوريا ، الأمر الذي يناقض شعاراتها عن حقوق الإنسان و قيم الحرية و العدالة .

لأجل ذلك اعتمدت الولايات المتحدة الأمريكية على استراتيجيات متبانية وفقا لتباين مواقفها ، إذ عملت على تغيير التحالفات بإنشاء جماعات متطرفة تقاتل بعضها البعض من أجل استنزاف النظام وإضعافه ، صحيح أنها بداية راهنت على وقف العنف وتلبية المطالب إلا أنها لم تكتف بهذا القدر ، حيث قامت بفرض العقوبات المالية والاقتصادية على الرئيس وبعض المسؤولين و على قطاع النفط بتشجيع الدول

على التوقف على التعامل مع سوريا من أجل الضغط على النظام*، ولم تكن تؤثر على مجرى الأحداث بشكل مباشر فحسب، إن نجد أنها تستخدم العملاء والحلفاء داخل المنظمات الدولية والإقليمية لاتخاذ مواقف معادية للنظام، وكان الإعلام الأمريكي صانعا للرأي العام من خلال العديد من التصريحات التي تدعم المعارضة*.

إن الإستراتيجية الأمريكية في أساسها سعت إلى دفع النظام للانهيار من الداخل وتفكيكه إلى كيانات على أساس طائفي، عن طريق الضغط السياسي والدبلوماسي وإعطاء دور كبير للدول الإقليمية كدول الخليج وجامعة الدول العربية تنفيذا لمشروع الشرق الأوسط الكبير، ناهيك عن الدعم العسكري الذي بدوره يطول الحديث عنه.

➤ **إسرائيل : إسرائيل في معادلة إسقاط نظام الأسد طرف مباشر .**

تتسم العلاقات السورية-الإسرائيلية بالتوتر الشديد، فسوريا هي القوة العربية الوحيدة في منطقة الشرق الأوسط التي كانت تتمتع بترسانة عسكرية ضخمة قادرة على مواجهة إسرائيل ولم توقع اتفاق سلام معها، خاصة بعد ضم إسرائيل للحولان السوري في 1981، هذه العلاقات طالما تأثرت بالتحويلات الدولية والإقليمية أيضا على رأسها اختيار الاتحاد السوفيتي وحرب الخليج الثانية، الأمر الذي أثر بدوره على مسار الصراع العربي الإسرائيلي، وأسهم في دفع الطرفين وفق حسابات خاصة نحو التسوية والمفاوضات في فترة التسعينيات، إلا أن وصول بشار الأسد إلى مقاليد الحكم وتأزم الأوضاع الفلسطينية خلال انتفاضة الأقصى الثانية إلى جانب العديد من المتغيرات الأخرى كوصول شارون للحكم في 2001 ووصول الإدارة الأمريكية الجديدة قد أدى إلى جمود المفاوضات¹.

على إثر اندلاع التحولات في بعض بلدان الوطن العربي عبرت إسرائيل عن رفضها لهذه التحولات، وقامت بدعم بعض الأنظمة التي تعتبرها ضمن محور الاعتدال، أما بالنسبة لسوريا فقد أبدت إسرائيل اهتمام كبيرا بالأزمة بالرغم من حالة الغموض والتعقيد التي ميزت موقف النخب خلال السنة الأولى، في حي فضلت بعض النخب بقاء النظام خوفا منها من صول تيارات إسلامية بديلة له أو إقامة نظام ديمقراطي بديل يعزز قدرة سوريا في المنطقة ويهدد لا محالة استقرار إسرائيل، فضلت بعض النخب إزالة النظام، إلا أن الموقف الإسرائيلي قد تبلور تجاه الأزمة خلال عامها الثاني، وجاء للتوافق مع الموقف الأمريكي والأوروبي المؤيد لسقوط النظام، تحت شعار ضرورة وقف المجازر التي يواجهها الشعب السوري، وإسقاط النظام لا يعد مصلحة استراتيجية وحسب بل هو مسؤولية أخلاقية أيضا.

لقد سعت إسرائيل إلى إطالة أمد الحرب واستمرار الأزمة لأن هذا الوضع يحقق لها جملة من الأهداف تأتي على ذكر بعض منها :

- اختلال التوازن الإقليمي لصالحها، حيث أن ضعف سوريا وانقسامها إلى وحدات متصارعة عرقيا ودينيا (دويلات كردية، علوية، درزية، مسيحية...) يؤدي إلى إضعاف الجيش وإنهاك الشعب وخفض طموحاته السياسية وإعادة تكوين خارطة جديدة لتقسيم الشرق الأوسط، في ظل ضعف وانحياز محور الممانعة إذا ما تدخلت دوله ستستنفذ قواها هي الأخرى، في حين تلجأ إسرائيل إلى تضخيم قوتها، هذا الوضع سيؤدي إلى تفكيك علاقات سوريا وتحالفاتها الإقليمية، (قطع العلاقات مع حزب الله وحماس، تراجع النفوذ الروسي نتيجة الاقتتال المتواصل، تراجع النفوذ الإيراني الذي قد يواجهه نفوذ تركيا بسبب الانقسام الشيعي - السني...) و بالتالي لن تكون ملزمة على الدخول في حروب شاملة مع هذه القوى.

* سقوط نظام الأسد حسب الرؤية الأمريكية سيضمن صول نظام حليف في دمشق، يسهل الاتفاق مع إسرائيل وينهي وجود حزب الله اللبناني، و في حالات أخرى قد يتحول من قوة عسكرية إلى حل سياسي ويتمكن في الأخير من تطويق إيران، وتفقد روسيا حليفا قويا فيزداد النفوذ الأمريكي في المنطقة.

* دعمت واشنطن مبادرة لتوحيد المعارضة قادها "رياض سيف" من أجل تشكيل قيادة جديدة تتجاوز إطار المجلس الوطني، واضطرت المعارضة لتشكيل الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة في 11 نوفمبر 2012 وشجعت دولا عديدة للاعتراف به.

¹ رضوان زيادة، السلام الداني، المفاوضات السورية الإسرائيلية، (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، ط1)، 2005، ص 702.

- تحجيم أنظار الرأي العام والمجتمع الدولي عن القضية الفلسطينية بسبب توجيه الاهتمام للتحويلات في الوطن العربي ، والترويج لفكرة ديمقراطية إسرائيل وأن عدم الاستقرار في المنطقة يرجع للتناقضات والخلافات السياسية و العرقية و الاقتصادية داخل الدول العربية . إن موقف إسرائيل هذا قد جاء نتيجة لمحددات وحسابات إسرائيلية خاصة :
- تخوف إسرائيل من تراجع دور الولايات المتحدة الأمريكية الذي قد يؤدي إلى اختلال التوازن بالمنطقة ويزيد من عزلتها على حساب تعظيم دور إيران وتزايد التهديد النووي ، وبالتالي ستواجه إسرائيل تحديات أمنية جديدة وضغوطات اقتصادية قد تتسبب في أزمات اجتماعية وإستراتيجية ، وتصبح مرغمة على إعادة صياغة عقيدتها الأمنية (هيكلية وبنية الجيش ، النفقات ، الأسلحة ...)¹.
- تخوف إسرائيل من انتقال الأزمة إلى الداخل بسبب وصول حركات الإسلام السياسي للسلطة مما يؤدي إلى خلق وإنعاش التيارات والتنظيمات أو الجماعات الجهادية خاصة على المناطق الحدودية ، ضف إلى ذلك تخوفها من عدم قدرة النظام على السيطرة على مخزون الأسلحة الكيماوية و البيولوجية ، في حين وقوعها في يد القوى المسلحة كحزب الله أو قوى المعارضة سيشكل ذلك تهديدا لأمن إسرائيل " فوضى السلاح " .
- الموقف الإسرائيلي جاء بعدم التدخل المباشر في النزاع لتجنب الخسائر و مشاكل الرأي العام الدولي والعربي، إلا أنها لجأت لإستراتيجيات عسكرية ، حيث قامت بشن غارات جوية على مواقع وأهداف عسكرية بسوريا ، للقضاء على مخازن الأسلحة الصاروخية خاصة في دمشق واللاذقية ، كما قامت بتعزيز الحدود في هضبة الجولان بإقامة جدار فاصل على امتداد الحدود السورية الإسرائيلية لمنع أي محاولة للجماعات الإسلامية للعبور أو المهاجمة.²
- وتجدر الإشارة إلى أن إسرائيل بالفعل حققت العديد من الأهداف دون تكلفة وذلك بتبنيها لبضع الإستراتيجيات غير المباشرة ، حيث استفادت من التوافق الروسي الأمريكي بتجريد سوريا من الأسلحة الكيماوية في 2013 ، بالإضافة على انتشار الفوضى في الدول المجاورة لاشتغال حزب الله بالحرب في سوريا ، فاستغلت الأمر للقيام بعمليات في المنطقة دون وجود ردود فعل لمواجهتها.

4. خاتمة:

يعني النزاع في أبسط معانيه وجود تضارب وتعارض في المصالح والأهداف لطرفين أو أكثر ، معظم النزاعات لا تخلو من تدخلات خارجية تؤثر على مسارها، وذلك لتحقيق مصالحها الخاصة بغض النظر على مصالح الأطراف المتنازعة في حد ذاتها ، وتتبع تلك الأطراف جملة من الاستراتيجيات والسياسات . هو الحال كذلك في سوريا .

إن ما يحدث في سوريا يؤكد على أنها أزمة معقدة وممتدة ، شكلت بؤرة التقاء بين النظام الإقليمي والنظام الدولي ، خاصة في ظل تشابك العوامل التي مهدت لنشأة النزاع ، فموقع سوريا الحيوي وتحالفاتها الإستراتيجية أدى إلى تصعيد النزاع ، وما يزيد من خطورة وتعقد الأزمة أن تسويتها لم تعد داخلية ، وإنما أصبحت مسألة إقليمية ودولية بحكم تداخل وتناقض أهداف الفواعل المختلفة ، تلك القوى قد تبنت مواقف متباينة في سعيها لتحقيق طموحاتها داخل المنطقة وخارجها ، لتتحول سوريا بذلك إلى ساحة لتصفية الحسابات بين القوى المتنافسة ، وأصبح مستقبل سوريا والمنطقة مرتبطا إلى حد بعيد بتطور العلاقات بين القوى المحلية من جهة و الإقليمية من جهة أخرى .

¹ يسرى خيزران، "إسرائيل والتحويلات في المحيط العربي ، رؤية إسرائيلية في الثورات العربية" ، مجلة مدى الكرمل ، العدد 2 ، 2014 ، ص ص 10، 11.

² Cathrine Moei Thorleifsson , *a fragile cold peace : the impact of the Syrian conflict on israeli-syrian relations* , the Norwegian peace building resource centre Norway , 2013, P1.

لقد ظهرت جغرافية النزاع في سوريا وفقا لثلاثة لاعبين أساسيين، إيران وروسيا والولايات المتحدة، ولكل من هؤلاء قوى محلية حليفة لها تُنفذ سياساتها وتسعى لتحقيق مصالحها مقابل الدعم المقدم لها؛ ومع هؤلاء ثمة لاعبين فرعيين مثل تركيا والسعودية وقطر، وهؤلاء أكثر انسجاماً في رؤيتهم ملف الصراع مع تباينات في سبل الخروج منه، أو الدعم المقدم للحلفاء على الأرض.

تعد الأزمة في سوريا سببا جوهريا لظهور تحالفات إقليمية جديدة داخل النظام العربي ، إلى جانب ذلك أكدت الأحداث في سوريا على ظهور تغيرات في العلاقات الدولية على رأسها ظهور فواعل وأقطاب جديدة تريد أن تتغلغل في المنطقة وأن تلعب دورا فيها وتحقق النفوذ ، وبالتالي تطالب بالمشاركة في نظام دولي جديد لا تهيمن عليه الولايات المتحدة الأمريكية وحسب .

على ضوء استعراض الدراسة لعناصرها ، خلصت لعدة نتائج :

- انقسام أطراف النزاع إلى قسمين تمثلا في النظام والمعارضة ،وانتهاج كل منهما لإستراتيجية تقوم على حشد دعم الأطراف الخارجية ، الأمر الذي أدى إلى تأجيج النزاع وزاد من حدته.
- للأطراف الخارجية دور فعال في النزاع ، تأثرت مواقفها بمعطيات البيئة الإقليمية و الدولية ، وتبعا لتحالفات ومصالح فردية .
- التدخلات في سوريا تنبع من كونها دولة مؤثرة في المنطقة وتشكل مركزا للتوازن في العلاقات إلى ارتباط النظام بجهات متعدد لها أهداف مختلفة.

- المنافسة التي خلقها النزاع السوري في طبيعة العلاقات الدولية أدت إلى تباين في موازين القوى الإقليمية والدولية.
- دور الترويج للبعد الطائفي في توجيه مواقف الفواعل وتوجيه مسارات النزاع وأبعاده.
- وجود حالة ترهل وضعف إلى جانب محدودية الدور بالنسبة للدول العربية.
- غياب مشروع حقيقي أو تصور واضح لأطراف النزاع المباشرة وغير المباشرة ، سواء تعلق الأمر بأطراف المعارضة أو النظام ، والأطراف الخارجية الفاعلة أيضا .

5. قائمة المراجع:

✓ باللغة العربية :

● الكتب :

1. ابراهيم أحمد سعيد ، الجيوبوليتيك السوري وقوة الجغرافية السياسية السورية ، (دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، 2016).
2. ابراهيم نصر الدين و آخرون ، حال الأمة العربية 2014-2015 الإحصاء : من تغيير النظم إلى تفكيك الدول ، (بيروت :مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1)، 2015 .
3. آزاد أحمد علي وآخرون ، خلفيات الثورة ، دراسات سورية ، (بيروت : المركز العربي للأبحاث والدراسات ، ط1) ، 2013.
4. تيم أندرسون ، الحرب القذرة على سورية ، ترجمة ناهد تاج هاشم (سوريا : مركز دمشق للأبحاث والدراسات -مداد- ، ط1)، 2006.
5. جمال وكيم، صراع القوى الكبرى على سوريا -الأبعاد الجيوسياسية لأزمة 2011-، (بيروت : دار المطبوعات للنشر والتوزيع ، ط2)، 2013.
6. رضوان زيادة ، السلام الداني ، المفاوضات السورية الإسرائيلية ، (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، ط1) ، 2005 .
7. عزمي بشارة ، في الثورة والقبالية للثورة ، (الدوحة : المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات) 2011 .

1. ابراهيم أحمد سعيد ، "الصفود السوري وسقوط نظريات الجيوبوليتيك الغربية" ، *مجلة الإعمار والبناء في سوريا* ، 2018.
2. أركان إبراهيم عدوان ، "انعكاسات الربيع العربي والأزمة السورية على تركيا" ، *مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية* ، العدد 47 ، 2014.

3. أحمد دياب ، "حلفاء روسيا ... و إرث بريجنيف" ، *مجلة العرب الدولية* ، العدد 1588 ، السعودية ، 2013 .
4. حميد حمد السعدون ، "نظرية ماكندر قراء جديدة في ظل الهيمنة الأمريكية" ، *مجلة دراسات دولية* ، العدد 28 ، بغداد ، 2005 .
5. عبد الرؤوف رهبان ، الأهمية الاقتصادية للتجارة الخارجية السورية والعوامل المؤثرة فيها ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 29 ، العدد 4 ، 2013.

6. علي حسين باكير ، معوقات التغيير : السياسة الإيرانية تجاه الازمة السورية ، *مجلة السياسة الدولية* ، العدد 196 ، 2014 .

7. عبد الله راشد العرقان ، البراغمية الإيرانية ودورها تجاه الأزمة السورية (2011-2017) ، *مجلة دراسات وأبحاث* ، العدد 30 ، 2018.

8. عبد الرحمان يونس لعبيدي ، "موقف روسيا الاتحادية من الثورات العربية الثورة السورية نموذجاً" ، *مجلة دراسات إقليمية* ، العدد 91 ، 2013.

9. ميس الكريدي ، "سوريا مملكة الصمت تتكلم" .

10. محمود حمزة ، صراع جيواستراتيجي ، "سوريا آخر مركز للتأثير الروسي في الشرق الأوسط" ، *مجلة العرب* ، العدد 9401 .

11. وليد حسن المدلل ، محمد سمير الرنتيسي ، "مقومات وسمات السياسة الخارجية القطرية" ، *مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الاقتصادية والإدارية* ، المجلد 22 ، العدد 1 ، 2014 .

12. يسرى خيزران، إسرائيل والتحول في المحيط العربى " رؤية إسرائيلية في الثورات العربية"، *مجلة مدى الكرمل*، العدد 2، 2014.

1. أنا بروشفسكايا ، مصالح روسيا الكثيرة في سوريا ، مركز الشام للبحوث و الدراسات ، تقرير أجنبي نقلا عن معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى ، سوريا ، 2013.

2. ربيع نصر و آخرون ، *الأزمة السورية ، الجذور و الآثار الاقتصادية و الاجتماعية* ، المركز السوري لبحوث السياسات ، 2013.
3. مروان قبلان ، *المسألة السورية واستقطاباتها الإقليمية والدولية : دراسة في معادلات القوة والصراع على سورية* ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، 2015.

4. سورية مواجهة التشظى !، تقرير يرصد آثار الأزمة السورية خلال عام 2015 ، شباط 2016.

1. سهام فتحي سليمان أبو مصطفى ، *الأزمة السورية في ظل تحولات التوازنات الإقليمية والدولية 2011-2013* ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم دراسات الشرق الأوسط ، (جامعة الأزهر غزة: كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، 2015).

1. ثامر سبعاينة ، "سوريا صراع المصالح" ، (2019/02/15) ، نقلا عن :
<http://www.odabasham.net/%D8%B3%D8%A7%D8%AD%D>

2. "المملكة العربية توفر 2500 للاجئين السوريين في مخيم الزعتري بالأردن" ، (2019/01/20) نقلا عن : <https://www.unhcr.org/ar/news/latest/2012/9/50616f336.html>

✓ باللغة الأجنبية :

1. Cathrine Moei Thorleifsson , *a fragile cold peace : the impact of the Syrian conflict on israeli-syrian relations* , the Norwegian peace building resource centre Norway , 2013.
2. Smith Ben , **Syria : no end in sight** ; research paper , House of commons library , 2012 .
3. George Friedman, “Syria, Iran and the Balance of Power in the Middle East”, Stratfor, (19/01/2019 in : <https://worldview.stratfor.com/article/syria-iran-and-balance-power-middle-east>)
4. Hillary Clinton, “America’s Pacific Century”,(19/01/2019) in : <https://foreignpolicy.com/2011/10/11/americas-pacific-century/>)